غزوة أحد

سيد قطب

لا إله إلا الله محمد رسول الله

أحمد عبد العزيز

الغزوات
في ظلال القرآن

إعداد جمال ماضي

غزوة أحد

الغزوات
في ظلال القرآن

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م

دار الدعوة – للطبع والنشر والتوزيع
١ ش منشا – محرم بك – اسكندرية ت : ٢١٧٨٨

الغزوات
في ظلال القرآن

سيد قطب

غزوة أحد

إعداد
جمال ماضي

دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع ملشا - محرم بك ١ الإسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقــديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعــد

* لقد تمخضت وقعة أحد عن درس ضخم وعاه المسلمــون المجاهدون آنذاك وهم يبذلون دماءهم وقد حاصرتهم الشدة العارمة التى أحاطت برسول الله صلى الله عليه وسلم .. فيسقط لشقه، وتكسر رباعيته ، ويشج رأسه ، وتنزف الدماء سائلة على وجهه الكريم .. هذه العبرة التى رويت بدماء الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه المؤمنين ستظل إلى يوم الدين تصرخ فى الأمة الاسلامية :

... السمع .. السمع والطاعة

... لا تنكبوا على الدنيـــا

... لا تنســـوا الآخـــرة

* وما أيسرها سنة الله الخالدة فى انتصار الايمان على الكفر ، والحق على الباطل . فالله ولى الذين آمنوا ، والذين كفروا لا مولى لهم ولا نصير ، فهم الخاسرون الهالكون ... وفى أول يوم أحد

حاز المسلمون كل عوامل النصر فجاءهم طائعاً .. ملكوا جلال الهدف وكمال العقيدة وعظمة القائد صلى الله عليه وسلم .. فشتان بين هدف قريش فى الثأر لقتلاهم ببدر وبين هدف المؤمنين الصادقين هذا أنس بن النضر فى شوق يقول :

(واها لريح الجنة واها .. إنى لأخد ريحها دون آحد) .

وابن الجموح صاحب العرج ومعه الرخصة يقول للنبى صلى الله عليه وسلم ليجيزه للقتال :

«وإنى لأرجو الله أن يدخلنى الجنة بعرجتى هذه»

وأى قسم يقسم به عبد الله بن جحش على ربه :

«اللهم إنى أقسم عليك أن ألقى
العدو غدا فيبقروا بطنى
ويجدعوا أنفى وأذنى فإن
سألتنى يارب فيم ذلك ؟ قلت :
فيك

... فشتان بين عقيدة تدفع هؤلاء إلى التضحية بأنفسهم فى سبيل نعيم لا يزول .. وبين عقيدة زائفة وقلوب متحجرة وأنفس خبيثة .

* وهذا القائد الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فى ساحة الوغى وفى حصار الشدة يعلن : **«ما كان لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل»** .

«لا استعين بأهل الشرك على أهل الشرك»

تلكم كانت كلماته فى صبيحة يوم أحد .. لا للتردد .. لا للخور لا للضعف .. نعم للإقدام والاستبسال .. نعم للصدق والخلوص لله .. نعم للعزم والحزم .. فليذهب إذن هؤلاء المنافقون ؛ وليمضوا بعيداً عن صف الجهاد ، ويمضى القائد بالأطهار البررة ؛ ويخوض أضخم وأعتى درس وعته الأمة الاسلامية .

* ... أخى القارىء :

وهذا هو الكتاب الثانى من سلسلة **«الغزوات فى ظلال القرآن»** لشهيد القرآن سيد قطب الذى سلك فيه منهجاً فريداً استقاه من القرآن الكريم كما وضحنا ذلك فى الكتاب الأول ، وبين يديك .. **«غزوة أحد»** .. غزوة الموقف العصيب والشدة التى أحاطت بالنبى صلى الله عليه وسلم ، غزوة صبر الأصحاب رضوان الله عليهم حتى يميز الله الخبيث من الطيب ، غزوة الدرس البليغ والعبرة القوية ؛ غزوة البطولات الفائقة ومواقف أكرم رجال هذه الأمة على الله .

* ولقد سلك سيد قطب فى عرض غزوة أحد مسلكا يكاد لم يسبقه فيه أحد من قبله ، وهو بيان الميدان الحقيقى لهذه المعركة ، التى لم تكن فى ميدان الأرض فحسب ، بل كان ميدانها أرحب وأوسع وأضخم من ذلك .. كان ميدانها النفس والضمير ، ثم يعرج بعدها على أن حصيلة ضخمة استطاع المسلمون حيازتها ، وليست هى فى النصر أو الغنيمة ، إنما هى فى العبرة والدرس .. فى الوعى والنضج .. فى التمحيص والتميز .. فى التنسيق والتنظيم .. هذه الحصيلة هى ميراث الأجيال فلا تقدر بثمن ولو كان فى النصر والغنيمة !

ومن ثم فهو يؤكد من خلال درس أحد على أنه لا قيمة ولا وزن فى نظر الاسلام للانتصار العسكرى أو السياسى أو الاقتصادى ما لم يقم هذا كله على أساس المنهج الربانى فى الانتصار على النفس والغلبة على الهوى والفوز على الشهوة . ليكون كل نصر نصراً لله ولمنهج الله ...

* وقبل أن يستعرض سيد قطب غزوة أحد فى ظلال القرآن ، يطبق منهجه الذى أشرنا إليه فى عرضه للغزوات . فيبدأ بتلخيص وقائعها كما وردت فى روايات السيرة لنعيش الجو الذى نزلت فيه

الآيات ثم يحيى فى أنفسنا لقطات خالدة من المعركة فكأنك فى الميدان تسمع وترى وتتحرك ... وعندئذ فلا غرابة بأن يتحدث عن أحد فى ظلال القرآن :

أولا : فى صميم المعركة

ثانيا : درس بليغ من أحد

ويختم الغزوة بحقائق ضخمة متنوعة من خلال التعقيب القرآنى عليها أجملها فى ست :

١ — طبيعة هذا الدين .
٢ — طبيعة النفس البشرية .
٣ — حقيقة الارتباط بين النفس المسلمة والجماعة المسلمة .
٤ — طبيعة منهج التربية الاسلامى .
٥ — واقعية المنهج الالهى .
٦ — موقف أكرم رجال هذه الأمة على الله .

وأخيراً :

نسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه وأن يتقبل منا صالحها ، إنه بالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الاسكندرية فى ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ .
١٩٨٥/٢/١١ م

جمال ماضى
دار الدعوة بالاسكندرية

بين يدى الغزوة

أولا : تمهيـــد

١ ــ معركة فى الميدان والضمير
٢ ــ غزوة أحد فى ظلال القرآن

أوسع الميادين

١ — معركة فى الميدان والضمير :

تمهيـــد :

غزوة أحد لم تكن معركة فى الميدان وحده ؛ إنما كانت معركة كذلك فى الضمير ... كانت معركة ميدانها أوسع الميادين . لأن ميدان القتال فيها لم يكن إلا واحداً من ميدانها الهائل الذى دارت فيه ... ميدان النفس البشرية ، وتصوراتها ، ومشاعرها ، وأطماعها وشهواتها ، ودوافعها وكوابحها ، على العموم .. وكان القرآن هناك يعالج هذه النفس بألطف وأعمق ، وبأفعل وأشمل ما يعالج المحاربون أقرانهم فى النزال !

الانتصار الكبير :

وكان النصر أولا ، وكانت الهزيمة ثانياً ، وكان الانتصار الكبير فيها بعد النصر والهزيمة ... انتصار المعرفة الواضحة والرؤيا المستنيرة للحقائق التى جلاها القرآن ؛ واستقرار المشاعر على هذه الحقائق استقرار اليقين . وتمحيص النفوس ، وتمييز الصفوف ، وانطلاق الجماعة المسلمة — بعد ذلك — متحررة من كثير من غبش التصور ، وتميع القيم ، وتأرجح المشاعر ، فى الصف المسلم . وذلك بتميز

المنافقين فى الصف إلى حد كبير ، ووضوح سمات النفاق وسمات الصدق ، فى القول والفعل . وفى الشعور والسلوك . ووضوح تكاليف الايمان . وتكاليف الدعوة إليه . والحركة به ، ومقتضيات ذلك كله من الاستعداد بالمعرفة . والاستعداد بالتجرد ، والاستعداد بالتنظيم . والتزام الطاعة والاتباع بعد هذا كله ، والتوكل على الله وحده . فى كل خطوة من خطوات الطريق ، ورد الأمر إلى الله وحده فى النصر والهزيمة ، وفى الموت والحياة . وفى كل أمر وفى كل اتجاه .

حصيلة ضخمة :

وكانت هذه الحصيلة الضخمة التى استقرت فى الجماعة المسلمة من وراء الأحداث ، ومن وراء التوجيهات القرآنية بعد الأحداث ، أكبر وأخطر — مما لا يقاس — من حصيلة النصر والغنيمة — لو عاد المسلمون من الغزوة بالنصر والغنيمة .. وقد كانت الجماعة المسلمة إذ ذاك أحوج ما تكون لهذه الحصيلة الضخمة ... كانت أحوج إليها ألف مرة من حصيلة النصر والغنيمة . وكان الرصيد الباقى منها للأمة المسلمة فى كل جيل أهم وأبقى كذلك من حصيلة النصر والغنيمة . وكان تدبير الله العلوى من وراء ما بدا فى الموقعة

من ظواهر النقص والضعف والتميع والغبش فى الصف المسلم ، ومن وراء الهزيمة التى نشأت عن هذه الظواهر .. كان تدبير الله العلوى من وراء هذا الذى وقع وفق سنة الله الجارية ، حسب أسبابه الطبيعية الظاهرة . تدبير كله الخير للجماعة المسلمة فى ذلك الحين . لتنال هذه الحصيلة الضخمة من العبرة والتربية ، والوعى والنضج ، والتمحيص والتميز ، والتنسيق والتنظيم . وليبقى للأمة المسلمة فى أجيالها المتعاقبة هذا الرصيد من التجارب والحقائق والتوجيهات التى لا تقدر بثمن . ولو كان هذا الثمن هو النصر والغنيمة !

الميدان الحقيقى :

لقد انتهت المعركة فى ميدان الأرض ، ليبدأها القرآن فى ميدانها الأكبر : ميدان النفس ، وميدان الحياة الشاملة للجماعة المسلمة . وصنع بهذه الجماعة ما تصنعه يد الله ، عن علم وعن حكمة ، وعن خبرة ، وعن بصيرة ، وكان ما شاءه الله وما دبره . وكان فيه الخير العظيم ، من وراء الضر والأذى والابتلاء الشاق المرير .

** * **

٢ — غزوة أحد فى القرآن

التعقيب القرآنى العجيب :

ولعل مما يلفت النظر فى التعقيب القرآنى على أحداث المعركة

هو ذلك الازدواج العجيب بين استعراض مشاهدها ووقائعها ، والتوجيهات المباشرة على هذه المشاهد والوقائع .. وبين التوجيهات الأخرى المتعلقة بتصفية النفوس . وتخليصها من غبش التصور ، وتحريرها من ربقة الشهوات . وثقلة المطامع . وظلمة الخطيئة ، وضعف الحرص والشح . والرغبات الدفينة .

ولعل مما يلفت النظر أكثر ، الكلام — فى صدد التعقيب على معركة حربية — عن الربا والنهى عنه ، وعن الشورى والأخذ بها . على الرغم مما كان للشورى من معقبات ظاهرية فى النتائج السيئة للمعركة !

ثم ... سعة المساحة التى يعمل فيها المنهج القرآنى فى النفس البشرية ، وفى الحياة الانسانية ، وتعدد نقط الحركة فيها ، وتداخلها وتكاملها العجيب ...

حقيقة المعركة الكبرى :

ولكن الذين يدركون طبيعة هذا المنهج الربانى لا يعجبون لشىء من ذلك الازدواج وهذه السعة ، وهذا التداخل ، وهذا التكامل . فالمعركة الحربية فى الحركة الاسلامية ليست معركة أسلحة وخيل ورجال وعدة وعتاد ، وتدبير حربى فحسب ... فهذه المعركة الجزئية

ليست منعزلة عن المعركة الكبرى فى عالم الضمير ، وعالم التنظيم الاجتماعى للجماعة المسلمة .. إنها ذات ارتباط وثيق بصفاء ذلك الضمير : وخلوصه ، وتجرده ، وتحرره من الأوهاق والقيود التى تطمس على شفافيته . وتقعد به دون الفرار إلى الله ! وكذلك هى ذات ارتباط وثيق بالأوضاع التنظيمية التى تقوم عليها حياة الجماعة المسلمة ، وفق منهج الله القويم . المنهج الذى يقوم على الشورى فى الحياة كلها — لا فى نظام الحكم وحده — وعلى النظام التعاونى لا النظام الربوى . والتعاون والربا لا يجتمعان فى نظام !

فى ميدان الحياة الواقعية :

والقرآن كان يعالج الجماعة المسلمة ، على إثر معركة لم تكن — كما قلنا — معركة فى ميدان القتال وحده ، إنما كانت معركة فى الميدان الأكبر . ميدان النفس البشرية ، وميدان الحياة الواقعية ... ومن ثم عرج على الربا فنهى عنه ، وعرج على الإنفاق فى السراء والضراء فحض عليه ، وعرج على طاعة الله ورسوله فجعلها مناط الرحمة ؛ وعرج على كظم الغيظ والعفو عن الناس ، وعلى الإحسان والتطهر من الخطيئة بالاستغفار ، والتوبة وعدم الإصرار ؛ فجعلها كلها مناط الرضوان ، كما عرج على رحمة الله المتمثلة فى رحمة

الرسول – صلى الله عليه و سلم – ولين قلبه للناس . وعلى مبدأ الشورى وتقريره فى أحرج الأوقات . وعلى الأمانة التى تمنع الغلول . وعلى البذل والتحذير من البخل فى نهاية ما نزل فى التعقيب على الغزوة من آيات ..

عرج على هذا كله . لأنه مادة اعداد الجماعة المسلمة للمعركة فى نطاقها الواسع ، الذى يتضمن المعركة الحربية فى إطاره ، ولا يقتصر عليها . معركة التعبئة الكاملة للانتصار الكبير . الانتصار على النفس والشهوات والمطامع والأحقاد ، والانتصار فى تقرير القيم والأوضاع السليمة لحياة الجماعة الشاملة .

وعرج على هذا كله ليشير إلى وحدة هذه العقيدة فى مواجهة الكينونة البشرية ونشاطها كله . ورده كله إلى محور واحد : محور العبادة لله ، والعبودية له ، والتوجه إليه فى حساسية وتقوى . وإلى وحدة منهج الله فى الهيمنة على الكينونة كلها ، فى كل حال من أحوالها . وإلى الترابط بين جميع الأحوال فى ظل هذا المنهج . وإلى وحدة النتائج النهائية للنشاط الانسانى كله ، وتأثير كل حركة من حركات النفس وكل جزئية من جزئيات التنظيم فى هذه النتائج النهائية .

وإذن فهذه التوجيهات الشاملة ليست بمعزل عن المعركة . فالنفس

لا تنتصر فى المعركة الحربية إلا حين تنتصر فى المعارك الشعورية والأخلاقية والنظامية . والذين تولوا يوم التقى الجمعان فى «أحد» إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا من الذنوب . والذين انتصروا فى معارك العقيدة وراء أنبيائهم هم الذين بدأوا المعركة بالاستغفار من الذنوب . والالتجاء إلى الله ، والالتصاق بركنه الركين . والتطهر من الذنوب إذن والالتصاق بالله ، والرجوع إلى كنفه من عدة النصر ، وليست بمعزل عن الميدان ! واطراح النظام الربوى إلى النظام التعاونى من عدة النصر ، والمجتمع التعاونى أقرب إلى النصر من المجتمع الربوى . وكظم الغيظ والعفو عن الناس من عدة النصر فالسيطرة على النفس قوة من قوى المعركة . والتضامن والتواد فى المجتمع المتسامح قوة ذات فاعلية كذلك .

حقيقة قدر الله :

كذلك كان من الحقائق التى اتكأ عليها السياق من بدئه إلى نهايته ... حقيقة قدر الله .. ورد الأمر إليه جملة . وتصحيح التصور فى هذه النقطة تصحيحاً حاسماً جازماً . وفى الوقت ذاته تقرير سنة الله فى ترتيب العواقب التى تحل بالبشر على ما يصدر من سعيهم ونشاطهم ، وخطئهم وإصابتهم ، وطاعتهم ومعصيتهم ، وتمسكهم

بالمنهج وتفريطهم فيه . واعتبارهم بعد هذا كله ستاراً للقدر ، وأداة للمشيئة ، وقدراً من قدر الله تحقق به ما يشاء سبحانه .

الانتصار فى ميزان الله :

ثم ... فى النهاية ... إشعار الجماعة المسلمة أن ليس لها من أمر النصر شيء . إنما هو تدبير الله لتنفيذ قدره . من خلال جهادها . وأجرها هي على الله . وليس لها من ثمار النصر شيء من أشياء هذه الأرض . ولا لحسابها الخاص يؤتيها الله النصر إذ يشاء . إنما لحساب الأهداف العليا التى يشاؤها الله . وكذلك الهزيمة . فإنها حين تقع بناء على جريان سنة الله ، وفق ما يقع من الجماعة المسلمة من تقصير وتفريط ، إنما تقع لتحقيق غايات يقدرها الله بحكمته وعلمه : لتمحيص ، وتمييز الصفوف ، وتجلية الحقائق . واقرار القيم ، وإقامة الموازين ، وجلاء السنن للمستبصرين ..

ولا قيمة ولا وزن فى نظر الاسلام للانتصار العسكرى أو السياسى أو الاقتصادى ؛ ما لم يقم هذا كله على أساس المنهج الربانى فى الانتصار على النفس . والغلبة على الهوى ، والفوز على الشهوة . وتقرير الحق الذى أراده الله فى حياة الناس ، ليكون كل نصر نصراً لله ولمنهج الله . وليكون كل جهد فى سبيل الله ومنهج الله . وإلا فهى

جاهلية تنتصر على جاهلية . ولا خير فيها للحياة ولا للبشرية . إنما الخير أن ترتفع راية الحق لذات الحق . والحق واحد لا يتعدد . إنه منهج الله وحده . ولا حق فى هذا الكون غيره . وانتصاره لا يتم حتى يتم أولا فى ميدان النفس البشرية . وفى نظام الحياة الواقعية . وحين تخلص النفس من حظ ذاتها فى ذاتها . ومن مطامعها وشهواتها ومن أدرانها وأحقادها . ومن قيودها وأصفادها . وحين تفر إلى الله متحررة من هذه الأثقال والأوهاق .. وحين تنسلخ من قوتها ومن وسائلها ومن أسبابها ، لتكل الأمر كله إلى الله ، بعد الوفاء بواجبها من الجهد والحركة . وحين تحكم منهج الله فى الأمر كله ، وتعد هذا التحكيم هو غاية جهادها وانتصارها ... حين يتم هذا كله يحتسب الانتصار فى المعركة الحربية أو السياسية أو الاقتصادية انتصارا ، فى ميزان الله . وإلا فهو انتصار الجاهلية على الجاهلية ، الذى لا وزن له عند الله ولا قيمة !

ومن ثم كان ذلك الازدواج ، وكان ذلك الشمول ، فى التعقيب على المعركة التى دارت يوم أحد ، فى ذلك الميدان الفسيح ، الذى يعد ميدان القتال جانباً واحداً من جوانبه الكثيرة .

* * *

غزوة أُحُد

ثانيا :

١ ـ أحداث الغزوة من السيرة .

٢ ـ وقائع موحية .

غـــزوة أحـــد

١ — أحداث الغزوة من السيرة :

وقبل أن نأخذ فى استعراض ذلك التعقيب القرآنى على أحداث المعركة يحسن أن نلخص وقائعها كما وردت فى روايات السيرة ؛ لندرك مواضع التعقيب والتوجيه حق الإدراك . ولنراقب طريقة التربية الإلهية بالقرآن الكريم . فى تناول الوقائع والأحداث :

أسباب الغزوة :

كان المسلمون قد انتصروا فى بدر . ذلك الانتصار الكامل ؛ الذى تبدو فيه — فى ظل الظروف التى وقع فيها — رائحة المعجزة . وقد قتل الله بأيديهم أئمة الكفر ورؤوسه من قريش . فرأس قريشا أبو سفيان بن حرب — بعد ذهاب أشرافهم فى بدر — فأخذ يؤلب على المسلمين لأخذ الثأر . وكانت القافلة التى تحمل متاجر قريش قد نجت فلم تقع فى أيدى المسلمين ؛ فتآمر المشركون على رصد ما فيها من أموال لحرب المسلمين .

استعداد قريش وقوتهم :

وقد جمع أبو سفيان قريباً من ثلاثة آلاف من قريش وأحلافهم والأحابيش(١) وخرج بهم فى شوال من السنة الثالثة للهجرة ؛ وجاءوا

---

(١) وهم من لاعراب ، وقد سموا كذلك لتحالفهم الى جوار مكان يقال له : الاحبش

معهم بنسائهم ليحاموا عنهن ولا يفروا . ثم أقبل بهم نحو المدينة . فنزل قريباً من جبل أحد .

استعداد المسلمين والتهيؤ للقتال :

مشاورة النبي أصحابه :

واستشار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أصحابه : أيخرج إليهم . أم يمكث فى المدينة ؟ وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة . وأن يتحصنوا بها . فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة . والنساء من فوق البيوت (١) ووافقه على هذا الرأى عبد الله بن أبى (رأس المنافقين) فبادرت جماعة كبيرة من الصحابة — ومعظمهم من الشبان ممن فاتهم يوم بدر — فأشاروا عليه بالخروج وألحوا عليه فى ذلك . حتى بدا أن هذا هو الرأى السائد فى الجماعة .

فنهض — صلى الله عليه وسلم — ودخل بيته — بيت عائشة — رضى الله عنها — ولبس لأمته ، وخرج عليهم ، وقد انثنى عزم أولئك . وقالوا : أكرهنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على الخروج ، فقالوا : يا رسول الله ، إن أحببت أن تمكث فى المدينة

---

(١) أعتمدنا فى تقرير أن هذا كان رأى النبى — صلى الله عليه وسلم على ماقرره الامام ابن القيم الجوزية فى كتابه : زاد المعاد .

فأفعل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«ماينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه» .

درس .. لاينسى :

... وألقى عليهم بذلك درساً نبوياً عالياً ، فالشورى وقتها حتى إذا انتهت جاء وقت العزم والمضى والتوكل على الله ... ولم يعد هناك مجال للتردد . وإعادة الشورى والتأرجح بين الآراء ... إنما تمضى الأمور لغاياتها ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ...

وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد رأى فى منامه : أن فى سيفه ثلمة ، ورأى أن بقراً تذبح ، وأنه أدخل يده فى درع حصينة ... فتأول الثلمة فى سيفه برجل يصاب من أهل بيته. وتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون . وتأول الدرع بالمدينة ... وكان إذن يرى عاقبة المعركة . ولكنه فى الوقت ذاته كان يمضى نظام الشورى ونظام الحركة بعد الشورى .. لقد كان يربى أمة . والأمم تربى بالأحداث ، وبرصيد التجارب الذى تتمخض عنه الأحداث ... لقد كان يمضى قدر الله . الذى تستقر عليه مشاعره ، ويستقر عليه

قلبه . فيمضى وفق مواقع هذا القدر . كما يحسها فى قلبه الموصول

انعزال المنافقين :

وخرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى ألف من أصحابه . واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقى فى المدينة . فلما صار بين المدينة وأحد . انعزل رأس النفاق : عبد الله بن أبى بنحو ثلث العسكر . وقال : يخالفنى : ويسمع للفتية ! فتبعهم عبد الله بن عمرو ابن حرام — والد جابر بن عبد الله — رضى الله عنهما — يوبخهم ويحضهم على الرجوع . ويقول : تعالوا قاتلوا فى سبيل الله . أو ادفعوا : قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع ! فرجع عنهم وسبهم.

فما ليهود بها ؟

وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود . فأبى — صلى الله عليه وسلم — فالمعركة هى معركة الأيمان والكفر فما ليهود بها ؟ والنصر من عند الله — حين يصح التوكل عليه وتتجرد القلوب له — وقال : «من رجل يخرج بنا على القوم من كثب» ؟ فخرج به بعض الأنصار حتى نزل الشعب من أحد عدوة الوادى ، وجعل ظهره إلى أحد . ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم .

التعبئة للقتال :

فلما أصبح تعبأ للقتال فى سبعمائة . فيهم خمسون فارسـاً .

واستعمل على الرماة — وكانوا خمسين — عبد الله بن جبير ،وأمره وأصحابه أن يلزموا مركزهم ، وألا يفارقوه ولو رأوا الطير تتخطف العسكر . وكانوا خلف الجيش . وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم .

وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين . وأعطى اللواء مصعب بن عمير وجعل على أحد المجنبتين الزبير بن العوام ، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو . واستعرض الشباب يومئذ . فرد من استصغره عن القتال . وكان منهم عبد الله بن عمرو ، وأسامة بن زيد ، وأسيد بن ظهير ، والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم . وزيد بن ثابت ، وعرابة بن أوس ، وعمرو بن حزام . وأجاز من رآه مطيقاً . وكان منهم سمرة بن جندب . ورافع بن خديج ، ولهما خمس عشرة سنة !

وتعبأت قريش للقتال وهم فى ثلاثة آلاف . وفيهم مئتا فارس ، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل .

ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم — سيفه إلى أبى دجانة سماك بن خرشه . وكان شجاعاً بطلا يختال عند الحرب .

الفاسق :

وكان أول من بدر من المشركين أبو عامر الفاسق . وكان يسمى «الراهب» فسماه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — «الفاسق» وكان رأس الأوس فى الجاهلية . فلما جاء الاسلام شرق به ، وجاهر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالعداوة . فخرج من المدينة ، وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويحضهم على قتاله . ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه ومالوا معه فكان أول من لقى المسلمين . فنادى قومه . وتعرف إليهم . فقالوا له : لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق ! فقال : لقد أصاب قومى بعدى شر ! ثم قاتل المسلمين قتالا شديداً .

انتصار المسلمين :

ولما نشب القتال أبلى أبو دجانة الأنصارى بلاء حسناً . هو وطلحة بن عبيد الله ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ، والنضر بن أنس ، وسعد بن الربيع ...

وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار ؛ حيث قتل من هؤلاء سبعون من صناديدهم . وانهزم أعداؤهم وولوا مدبرين .

حتى انتهوا إلى نسائهم . وحتى شمرت النساء ثيابهن عن أرجلهن هاربات !

غلطة الرماة .. أخلوا الثغر !

فلما رأى الرماة هزيمة المشركين وانكشافهم . تركوا مراكزهم التى أمرهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ألا يبرحوها. وقالوا يا قوم : الغنيمة ! الغنيمة ! فذكرهم أميرهم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعوا . وظنوا أن ليس للمشركين رجعة ، فذهبوا فى طلب الغنيمة وأخلوا الثغر فى أحد !

:

عندئذ أدركها خالد ، فكر فى خيل المشركين ، فوجدوا الثغر خالياً فاحتلوه من خلف ظهور المسلمين . وأقبل المنهزمون من المشركين حين رأوا خالداً والفرسان قد علوا المسلمين ، فأحاطوا بهم ! .

وانقلبت المعركة ، فدارت الدائرة على المسلمين ، ووقع الهرج والمرج فى الصف ، واستولى الاضطراب والذعر ، لهول المفاجأة التى لم يتوقعها أحد . وكثر القتل واستشهد من المسلمين من كتب الله له الشهادة .

النبي الجريح :

وخلص المشركون إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد أفرد إلا من نفر يعدون على الأصابع قاتلوا عنه حتى قتلوا . وقد جرح وجهه — صلى الله عليه وسلم — وكسرت سنه الرباعية اليمنى فى الفلك الأسفل . وهشمت البيضة على رأسه . ورماه المشركون بالحجارة حتى وقع لجنبه ، وسقط فى حفرة من الحفر التى كان أبو عامر الفاسق قد حفرها وغطاها ! يكيد بها المسلمين . وغاصت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته .

صاح صائح : إن محمداً قتل ...

وفى وسط هذا الهول المحيط بالمسلمين صاح صائح : إن محمداً قتل ... فكانت الطامة التى هدت ما بقى من قواهم ، فانقلبوا على أعقابهم مهزومين هزيمة منكرة لا يحاولون قتالا ، مما أصابهم من اليأس والكلال !

ولما انهزم الناس لم ينهزم أنس بن النضر — رضى الله عنه — وقد انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم ! فقال ما يجلسكم ؟ فقالوا : قتل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : فما تصنعون بالحياة

بعده ؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم استقبل المشركين ولقى سعد بن معاذ فقال : يا سعد واهاً لريح الجنة إنى أجدها من دون أحد ! فقاتل حتى قتل ... ووجد به بضع وسبعون ضربة . ولم تعرفه إلا أخته . عرفته ببنانه ...

وأقبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نحو المسلمين وكان أول من عرفه تحت المغفر ، كعب بن مالك . فصاح بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أبشروا . هذا رسول الله — صلى الله عليه وسلم فأشار بيده : أن اسكت ، واجتمع إليه المسلمون ، ونهضوا معه إلى الشعب ، وفيهم أبو بكر وعمر والحارث بن الصمة الأنصارى وغيرهم ... فلما امتدوا صعوداً فى الجبل أدرك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أبى بن خلف على جواد له اسمه العود . كان يطعمه فى مكة ويقول : أقتل عليه محمداً . فلما سمع بذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : بل أنا أقتله إن شاء الله .. فلما أدركه تناول — صلى الله عليه وسلم — الحربة من الحارث وطعن بها عدو الله فى ترقوته . فذهب يخور كالثور . وقد أيقن أنه مقتول كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من قبل ! ومات بالفعل فى طريق عودته !

الله أعلى وأجل:

حوار مع أبي سفيان ...

وأشرف أبو سفيان على الجبل فنادى : أفيكم محمد ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا تجيبوه . فقال أفيكم ابن أبي قحافة ؟ فلم يجيبوه . فقال : أفيكم عمر بن الخطاب ؟ فلم يجيبوه . ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة فقال : مخاطباً قومه : أما هؤلاء فقد كفيتموهم . فلم يملك عمر — رضى الله عنه — نفسه أن قال : يا عدو الله ، إن الذين ذكرتهم أحياء . وقد أبقى الله لك ما يسوؤك ! فقال قد كان فى القوم مثلة ، لم آمر بها ولم تسؤنى (يشير بذلك إلى ما صنعته زوجه هند بجثمان حمزة — رضى الله عنه — بعد أن قتله وحشى . حين بقرت بطنه ، واستخرجت كبده ، فلاكتها ثم لفظتها !) .

ثم قال : اعل هبل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تجيبونه ؟ قالوا : بماذا نجيبه ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجل . قال : لنا العزى ولا عزى لكم ! قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ألا تجيبونه ؟ قالوا : بماذا نجيبه ؟ قال : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم .. قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر والحرب سجال .

فقال عمر — رضى الله عنه — لا سواء . قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النـــار .

انتهاء المعركة :

ولما انقضت المعركة انصرف المشركون ، فظن المسلمون أنهم قصدوا المدينة لسبي الذرارى وإحراز الأموال . فشق ذلك عليهم ، فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — لعلى بن أبى طالب — رضى الله عنه — **«اخرج فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فإن هم جنبوا الخيل وامتطوا الابل فإنهم يرويدن مكة . وإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة . فو الذى نفسى بيده لو أرادوها لأسيرين إليهم ثم لأناجزهم فيها» ...**

قال على : فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون . فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا مكة .

حمراء الأسد :

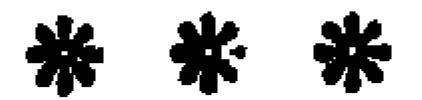
فلما كانوا فى بعض الطريق تلاوموا فيما بينهم ، وقال بعضهم : لم تصنعوا شيئاً ، أصبتم شوكتهم وحدهم ، ثم تركتموهم وقد بقى منهم رؤوس يجمعون لكم . فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم ... فبلغ

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى فى الناس ، وندبهم إلى المسير إلى لقاء عدوهم وقال :

«لا يخرج معنا إلا من شهد القتال . فقال له عبد الله بن أبى : أركب معك ؟ قال . لا . فاستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف ؛ وقالوا : سمعاً وطاعة . واستأذنه جابر بن عبد الله . وقال يا رسول الله إنى أحب ألا تشهد مشهداً إلا كنت معك ، وإنما خلفنى أبى على بناته يوم أحد ، فأذن لى أسير معك فأذن له ، فسار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد ؛ وأقبل معبد بن أبى معبد الخزاعى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأمره أن يلحق بأبى سفيان فيخذله ، فلحقه بالروحاء ، ولم يعلم إسلامه ، فقال : وما وراءك يا معبد ؟ فقال : محمد وأصحابه قد تحرقوا عليكم ، وخرجوا فى جمع لم يخرجوا فى مثله ، وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم فقال : ما تقول ؟ فقال : ما أرى أن ترتحل حتى يطلع الجيش وراء هذه الأكمة ! فقال أبو سفيان : والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم . قال : فلا تفعل فإنى بك ناصح ! فرجعوا على أعقابهم إلى مكة .

العودة إلى المدينة :

ولقى أبو سفيان بعض المشركين يريدون المدينة . فقال : هل لك أن تبلغ محمداً رسالة ، وأوقر لك راحلتك زبيباً إذا أتيت إلى مكة ؟ قال : نعم . قال : أبلغ محمداً أنا قد جمعنا الكرة لنستأصله ونستأصل أصحابه . فلما بلغهم قوله قالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل. ولم يفت ذلك فى عضدهم . وأقاموا ثلاثة أيام ينتظرون ، ثم عرفوا أن المشركين أبعدوا فى طريقهم إلى مكة منصرفين . فعادوا إلى المدينة ..



٢ — لقطات موحية

وبعد فإن هذا الملخص لأحداث الغزوة لا يصور كل جوانبها . ولا يسجل كل ما وقع فيها . مما هو موضع المثل والعبرة ... ومن ثم نذكر بعض الوقائع الموحية ، تكملة لرسم الجو واستيحائه :

أم عمارة :

كان عمرو بن قميئة من المشركين الذين خلصوا إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين أفرد فى فترة اضطراب المعركة ، عقب تخلى الرماة عن أماكنهم ، وإحاطة الكفار بالمسلمين ، والصيحة بأن محمداً قتل ، وما صنعته فى صفوف المسلمين وعزائمهم .

وفى هذه الغمرة التى يطيش فيها الحليم كانت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية تقاتل عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قتالا شديداً . وقد ضربت عمرو بن قميئة بسيفها ضربات عدة ، ولكن وقته درعان كانتا عليه . وضربها هو بالسيف فجرحها جرحاً شديداً على عاتقها ...

أبو دجانة :

وكان أبو دجانة يترس بظهره على النبى — صلى الله عليه وسلم والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك ، ولا يكشف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

طلحة بن عبيدالله :

وكان طلحة بن عبيد الله يثوب سريعاً إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويقف دونه وحده . حتى يصرع .. في صحيح ابن حبان عن عائشة قالت : قال أبو بكر الصديق : لما كان يوم أحد . انصرف الناس كلهم عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فرأيت رجلا يقاتل عنه ويحميه . قلت : كن طلحة ! فداك أبي وأمي ! كن طلحة فداك أبي وأمي ! فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة ابن الجراح . وإذا هو يشتد كأنه طير . حتى لحقني ، فدفعنا إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فإذا طلحة بين يديه صريعاً . فقال صلى الله عليه وسلم : **«دونكم أخاكم فقد أوجب»** . وقد رمى النبي — صلى الله عليه وسلم في وجنته . فذهبت لأنزعها عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال أبو عبيدة : نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتني ! قال فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه ، فجعل ينضنضه حتى استله ، فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى ... ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — **«دونكم أخاكم فقد أوجب»** قال : فأقبلنا على طلحة نعالجه وقد أصابته بضع عشرة ضربة .

وفى صحيح مسلم أنه — صلى الله عليه وسلم — أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه قال : «**من يردهم عنى وله الجنة ؟**» فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل ثم رهقوه فقال : «**من يردهم عنى فله الجنة وهو رفيق فى الجنة**»... فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — «**وما أنصفنا أصحابنا**» ... ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه وترس عليه أبو دجانة بظهره كما أسلفنا ، حتى انجلت الكربة ... وقد بلغ الإعياء برسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه وهو يصعد الجبل والمشركون يتبعونه أراد أن يعلو صخرة فلم يستطع لما به ، فجلس طلحة تحته حتى صعدها . وحانت الصلاة . فصلى بهم جالساً .

على وفاطمة :

وجاء على — كرم الله وجهه — بالماء لغسل جرح رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكان يصب الماء على الجرح ، وفاطمة — رضى الله عنها — تغسله . فلما رأت أن الدم لا يكف ، أخذت قطعة من حصير ، فأحرقتها ، فألصقتها بالجرح فاستمسك الدم .

رجل من أهل الجنة :

وقد مص مالك والد أبي سعيد الخدرى جرح رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى أنقاه . فقال له : «مجه» فقال : والله لا أمجه أبداً ! ثم ذهب . فقال النبي — صلى الله عليه وسلم — : «**من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**».

ومن أحداث هذا اليوم كذلك :

غسيل الملائكة :

أن حنظلة الأنصارى (الملقب بحنظلة الغسيل) شد على أبي سفيان فلما تمكن منه حمل على حنظلة شداد بن الأسود فقتله . وكان جنباً فانه لما سمع صيحة الحرب وهو مع امرأته ، قام من فوره إلى الجهاد فأخبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أصحابه أن الملائكة تغسله . ثم قال : سلوا أهله ما شأنه ؟ فسألوا امرأته ، فأخبرتهم الخبر !

سعد بن الربيع :

وقال زيد بن ثابت : بعثني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم أحد أطلب سعد بن الربيع . قال : فجعلت أطوف بين القتلى ، فأتيته وهو بآخر رمق وبه سبعون ضربة ، ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم . فقلت : يا سعد . إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : أخبرنى

كيف تجدك ؟ فقال : وعلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — السلام ، قل له : يا رسول الله أجد ريح الجنة . وقل لقومى الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفيكم عين تطرف ... وفاضت نفسه من وقته .

ومر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار ، وهو يتشحط فى دمه ، فقال : يا فلان . أشعرت أن محمداً قد قتل ؟ فقال الأنصارى : إن كان محمد قد قتل فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم .

هذه الشهادة يا أبا جابر :

وقال عبد الله بن عمرو بن حرام : رأيت فى النوم ، قبل أحد ، مبشر بن عبد المنذر يقول لى : أنت قادم علينا فى أيام . فقلت . وأين أنت ؟ فقال : فى الجنة ، نسرح فيها حيث نشاء . قلت له ألم تقتل يوم بدر ؟ فقال : بلى . ثم أحييت . فذكرت ذلك لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : «**هذه الشهادة يا أبا جابر**» ...

خيثمة والشهادة :

وقال خيثمة — وكان ابنه قد استشهد مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم بدر : لقد أخطأتنى وقعة بدر ، وكنت والله عليها حريصاً ، حتى ساهمت ابنى فى الخروج ، فخرج سهمه ،

فرزق الشهادة . وقد رأيت البارحة ابنى فى النوم فى أحسن صورة ، يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها يقول :

الحق بنا ترافقنا فى الجنة . فقد وجدت ما وعدنى ربى حقاً . وقد — والله يا رسول الله — أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته فى الجنة . وقد كبرت سنى ورق عظمى . وأحببت لقاء ربى . فادع الله يا رسول الله أن يرزقنى الشهادة ، ومرافقة سعد فى الجنة . فدعا له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بذلك . فقتل بأحد شهيداً .

عبد الله بن جحش :

وقال عبد الله بن جحش فى ذلك اليوم : اللهم إنى أقسم عليك أن ألقى العدو غداً . فيقتلونى ، ثم يبقروا بطنى ، ويجدعوا أنفى وأذنى . ثم تسألنى فيم ذلك ؟ فأقول : فيك !

عمرو بن الجموح :

وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج ، وكان له أربعة بنين شباب ، يغزون مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذا غزا . فلما توجه إلى أحد أراد أن يتوجه معه . فقال له بنوه : إن الله قد جعل لك رخصة . فلو قعدت ونحن نكفيك ! وقد وضع الله عنك الجهاد . فأتى عمرو بن الجموح رسول الله — صلى الله عليه

وسلم — فقال : يا رسول الله : إن بنى هؤلاء يمنعونى أن أخرج معك . والله إنى لأرجو أن أستشهد . فأطأ بعرجتى هذه فى الجنة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم — «**أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد**» . وقال لبنيه : «**وما عليكم أن تدعوه ! لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة !**» ... فخرج مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقتل يوم أحد شهيداً .

أى عباد الله ... أبى ! ! !

وفى مضطرب المعركة نظر حذيفة بن اليمان إلى أبيه والمسلمون يريدون قتله ، لا يعرفونه ، وهم يظنونه من المشركين . فقال حذيفة : أى عباد الله ، أبى . فلم يفهموا قوله حتى قتلوه . فقال : يغفر الله لكم . فأراد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يؤدى ديته . فقال حذيفة : قد تصدقت بديته على المسلمين ، فزاد ذلك حذيفة خيراً عند رسول الله .

مصرع الأسد :

وقال وحشى غلام جبير بن مطعم يصف مصرع حمزة سيد الشهداء فى هذه الغزوة : قال لى جبير : إن قتلت حمزه عم محمد فأنت عتيق . قال فخرجت مع الناس . وكنت رجلا حبشياً، أقذف

بالحربة قذف الحبشة ، قلما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزه وأتبصره ، حتى رأيته كأنه الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هداً ، ما يقدم له شيء . فوالله إنى لأتهيأ له أريده ، وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى . إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزه ضربه ضربة كأنما اختطف رأسه ، فهززت حربتى حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه ، فوقعت فى ثنته (احشائه) حتى خرجت من بين رجليه . وذهب لينوء نحوى فغلب وتركته وإياها حتى مات . ثم أتيته فأخذت حربتى ورجعت إلى المعسكر ، فقعدت فيه . إذ لم تكن لى بغيره حاجة . إنما قتلت لأعتق

وقد جاءت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان ، فبقرت بطن حمزه ، وأخرجت كبده ، ولاكتها فلم تقدر عليها . فألقتها ..

ولما وقف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد المعركة على جثمان حمزه — رضى الله عنه — تأثر تأثراً شديداً . وقال — صلى الله عليه وسلم — : **«لن أصاب بمثلك أبداً ، وما وقفت قط موقفاً أغيظ إلى من هذا»** .. ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — **«أكلت شيئا ؟»** قالوا : لا . قال : **«ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة فى النار»** ...

دفن الشهداء :

وقد أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يدفن شهداء أحد فى مصارعهم ، ولا ينقلوا إلى مقابر المدينة . وكان بعض الصحابة قد نقلوا قتلاهم . فنادى منادى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — برد القتلى إلى مصارعهم فردوا . ووقف — صلوات الله وسلامه عليه — يدفن الرجلين والثلاثة فى اللحد الواحد وكان يسأل أيهم أكثر أخذاً فى القرآن ؟ فإذا أشاروا إلى رجل قدمه فى اللحد ، ودفن عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح فى قبر واحد لما كان بينهما من المحبة : **«ادفنوا هذين المتحابين فى الدنيا فى قبر واحد»** ..

* * *

هذه بعض اللقطات من المعركة التى تجاور فيها النصر والهزيمة لا تفرق بينها إلا لحظة من الزمان ، وإلا مخالفة عن الأمر ، وإلا حركة من الهوى ، وإلا لفتة من الشهوة ! والتى تجاوزت فيها القمم العالية والسفوح الهابطة ! والنماذج الفريدة فى تاريخ الإيمان والبطولة وفى تاريخ النفاق والهزيمة !

وهى مجموعة تكشف عن حالة من عدم التناسق فى الصف

حينذاك ، كما تكشف عن حالة من الغبش فى تصورات بعض المسلمين ... وهذه وتلك انشأت — وفق سنة الله وقدره — هذه النتائج التى ذاقها المسلمون ؛ وهذه التضحيات الجسام ، التى تتراءى على قمتها تلك التى أصابت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والتى لا شك أن الصحابة حينذاك كانوا يحسونها بعمق وعنف ، ويرونها أشد ما نالهم من الآلام . وقد دفعوا الثمن غالياً ليتلقوا الدرس عالياً ، وليمحص الله القلوب ، ويميز الصفوف ، وليعد الجماعة المسلمة للمهمة العظمى التى ناطها بها : مهمة القيادة الراشدة للبشرية وإقرار منهج الله فى الأرض فى صورته المثالية الواقعية ...

فلننظر إذن كيف عالج القرآن الكريم الموقف بطريقة القرآن .

رابعا : وبعد ...

حقائق بين يدى المعركة :

١ ـ طبيعة هذا الدين .

٢ ـ طبيعة النفس المسلمة .

٣ ـ الارتباط بين واقع النفس والجماعة المسلمة .

٤ ـ طبيعة منهج التربية الاسلامى .

٥ ـ واقعية المنهج الالهى .

٦ ـ مواقف أكرم رجال هذه الأمة على الله .

رابعاً : وبعد ... حقائق بين يدى المعركة

وبعد .. فقد تمخضت المعركة والتعقيب القرآنى عليها عن حقائق ضخمة منوعة . يصعب إحصاؤها ثم إيفاؤها حقها من البسط والعرض فى هذا السياق من الظلال . فنكتفى بالإشارة إلى أشملها وأبرزها ، ليقاس عليه سائر ما فى الغزوة كما عرضها القرآن الكريم من مواضع للعبرة والاستدلال .

١ — طبيعة هذا الدين :

١ — لقد تمخضت المعركة والتعقيب عليها عن حقيقة أساسية كبيرة فى طبيعة هذا الدين الذى هو المنهج الإلهى للحياة البشرية ، وفى طريقته فى العمل فى حياة البشر . وهى حقيقة أولية بسيطة ، ولكنها كثيراً ما تنسى ، أو لا تدرك ابتداء ، فينشأ عن نسيانها أو عدم إدراكها خطأ جسيم فى النظر إلى هذا الدين : فى حقيقته وفى واقعه التاريخى فى حياة الإنسانية ، وفى دوره أمس واليوم وغداً ..

إن بعضنا ينتظر من هذا الدين — مادام هو المنهج الإلهى للحياة البشرية — أن يعمل فى حياة البشر بطريقة سحرية خارقة ! دون اعتبار لطبيعة البشر ، ولطاقتهم الفطرية ، ولواقعهم المادى ، فى أية مرحلة من مراحل نموهم ، وفى أية بيئة من بيئاتهم !

وحين يرون أنه لا يعمل بهذه الطريقة ، وإنما هو يعمل فى

حدود الطاقة البشرية ، وحدود الواقع المادى للبشر . وأن هذه الطاقة وهذا الواقع يتفاعلان معه ، فيتأثران به فى فترات تأثراً واضحاً ، أو يؤثران فى مدى استجابة الناس له . وقد يكون تأثيرهما مضاداً فى فترات أخرى فتقعد بالناس ثقلة الطين . وجاذبية المطامع والشهوات ، دون تلبية هتاف الدين أو الاتجاه معه فى طريقه اتجاهاً كاملا .. حين يرون هذه الظواهر فإنهم يصابون بخيبة أمل لم يكونوا يتوقعونها ! — مادام هذا الدين من عند الله — أو يصابون بخلخلة فى ثقتهم بجدية المنهج الدينى للحياة وواقعيته ! أو يصابون بالشك فى الدين إطلاقاً !

وهذه السلسلة من الأخطاء تنشأ كلها من خطأ واحد ، هو عدم إدراك طبيعة هذا الدين ، وطريقته ، أو نسيان هذه الحقيقة الأولية البسيطة .

إن هذا الدين منهج للحياة البشرية ، يتم تحقيقه فى حياة البشر بجهد بشرى ، فى حدود الطاقة البشرية ويبدأ فى العمل من النقطة التى يكون البشر عندها بالفعل من واقعهم المادى ، ويسير بهم إلى نهاية الطريق ، فى حدود جهدهم البشرى وطاقتهم البشرية ، ويبلغ بهم أقصى ما تمكنهم طاقتهم وجهدهم من بلوغه .

وميزته الأساسية أنه لا يغفل لحظة . فى أية خطة . وفى أية خطوة . عن طبيعة فطرة الإنسان . وحدود طاقته . وواقعه المادى أيضاً . وأنه فى الوقت ذاته يبلغ به — كما تحقق ذلك فعلا فى بعض الفترات ، وكما عكن أن يتحقق دائماً كلما بذلت محاولة جادة — مالم يبلغه وما لا يبلغه أى منهج آخر من صنع البشر على الإطلاق .

ولكن الخطأ كله — كما تقدم — ينشأ من عدم الإدراك لطبيعة هذا الدين أو نسيانها ؛ ومن انتظار الخوارق التى لا ترتكن على الواقع البشرى ؛ والتى تبدل فطرة الإنسان ؛ وتنشئه نشأة أخرى ، لا علاقة لها بفطرته وميوله واستعداده وطاقاته . وواقعه المادى كله !

أليس هو من عند الله ؟ أليس ديناً من عند القوة القادرة التى لا يعجزها شىء ؟ فلماذا إذن يعمل فقط فى حدود الطاقة البشرية ؟ ولماذا يحتاج إلى الجهد البشرى ليعمل ؟ ثم لماذا لا ينتصر دائماً ؟ ولا ينتصر أصحابه دائماً ؟ لماذا تغلب عليه ثقلة الطبع والشهوات والواقع المادى أحياناً ؟ ولماذا يغلب أهل الباطل على أصحابه وهم أهل الحق أحياناً ؟

وكلها — كما نرى — أسئلة وشبهات تنبع من عدم إدراك

الحقيقة الأولية البسيطة لطبيعة هذا الدين وطريقته أو نسيانها !

إن الله قادر — طبعاً — على تبديل فطرة الإنسان — عن طريق هذا الدين أو من غير طريقه — وكان قادراً أن يخلقه منذ البدء بفطرة أخرى .. ولكنه شاء أن يخلق الإنسان بهذه الفطرة . وشاء أن يجعل لهذا الإنسان إرادة واستجابة . وشاء أن يجعل الهدى ثمرة للجهد والتلقي والاستجابة . وشاء أن تعمل فطرة الإنسان دائماً ، ولا تمحى ، ولا تبدل . ولا تعطل . وشاء أن يتم تحقيق منهجه للحياة فى حياة البشر عن طريق الجهد البشرى ، وفى حدود الطاقة البشرية وشاء أن يبلغ «الإنسان» من هذا كله بقدر ما يبذل من الجهد فى حدود ملابسات حياته الواقعة .

وليس لأحد من خلقه أن يسأله : لماذا شاء هذا ؟ ما دام أن أحداً من خلقه ليس إلهاً ! وليس لديه العلم ، ولا إمكان العلم ، بالنظام الكلى للكون ، وبمقتضيات هذا النظام فى طبيعة كل كائن فى هذا الوجود ، وبالحكمة المغيبة وراء خلق كل كائن بهذا «التصميم» الخاص !

و«لماذا ؟» — فى هذا المقام — سؤال لا يسأله مؤمن جاد ، ولا يسأله كذلك ملحد جاد .. المؤمن لا يسأله ، لأنه أكثر أدباً

مع الله — الذى يعرفه قلبه بحقيقته وصفاته — وأكثر معرفة بأن الإدراك البشرى لم يهيأ للعمل فى هذا المجال .. والكافر لا يسأله ، لأنه لا يعترف بالله ابتداء .. فإن اعترف بألوهيته عرف معها أن هذا شأنه — سبحانه — ومقتضى ألوهيته !

ولكنه سؤال قد يسأله هازل مائع . لا هو مؤمن جاد ، ولا هو ملحد جاد .. ومن ثم لا ينبغى الاحتفال به ولا الجد فى أخذه !

وقد يسأله جاهل بحقيقة الألوهية .. فالسبيل لإجابة هذا الجاهل ليس هو الجواب المباشر . إنما هو تعريفه بحقيقة الألوهية — حتى يعرفها فهو مؤمن ، أو ينكرها فهو ملحد .. وبهذا ينتهى الجدل إلا أن يكون مراء !

ليس لأحد من خلق الله إذن أن يسأله — سبحانه — لماذا شاء أن يخلق الكائن الإنسانى بهذه الفطرة ؟ ولماذا شاء أن تبقى فطرته هذه عاملة ، لا تمحى ، ولا تعدل ، ولا تعطل ! ولماذا شاء أن يجعل المنهج الإلهى يتحقق فى حياته عن طريق الجهد البشرى ، وفى حدود الطاقة البشرية ؟

ولكن لكل أحد من خلقه أن يدرك هذه الحقيقة ؛ ويراها وهى تعمل فى واقع البشرية ، ويفسر التاريخ البشرى على ضوئها ؛ فيفقه

خط سير التاريخ من ناحية .. ويعرف كيف يوجه هذا الخط من ناحية أخرى .

هذا المنهج الإلهي الذي يمثله الإسلام — كما جاء به محمد — صلى الله عليه وسلم — لا يتحقق في الأرض في دنيا الناس ، بمجرد تنزله من عند الله . ولا يتحقق بمجرد إبلاغه للناس وبيانه . ولا يتحقق بالقهر الإلهي على نحو ما يمضي الله ناموسه في دورة الفلك وسير الكواكب ، وترتب النتائج على أسبابها الطبيعية .. إنما يتحقق بأن تحمله مجموعة من البشر ، تؤمن به إيماناً كاملا ، وتستقيم عليه — بقدر طاقتها — وتجعله وظيفة حياتها وغاية آمالها ؛ وتجهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم العملية كذلك ؛ وتجاهد لهذه الغاية بحيث لا تستبقي جهداً ، ولا طاقة .. تجاهد الضعف البشري ، والهوى البشري ؛ والجهل البشري في أنفسها وأنفس الآخرين . وتجاهد الذين يدفعهم الضعف والهوى والجهل للوقوف في وجه هذا المنهج .. وتبلغ — بعد ذلك كله — من تحقيق هذا المنهج الإلهي إلى الحد والمستوى الذي تطيقه فطرة البشر . على أن تبدأ بالبشر من النقطة التي هم فيها فعلا ؛ ولا تغفل واقعهم ، ومقتضيات هذا الواقع ، في سير مراحل هذا المنهج وتتابعها .. ثم تنتصر هذه

المجموعة على نفسها وعلى نفوس الناس معها تارة ؛ وتنهزم في المعركة مع نفسها أو مع نفوس الناس تارة . بقدر ما تبذل من الجهد ؛ وبقدر ما تتخذ من الأساليب العملية ؛ وبقدر ما توفق في اختيار هذه الأساليب .. وقبل كل شيء . وقبل كل جهد ، وقبل كل وسيلة .. هنالك عنصر آخر : هو مدى تجرد هذه المجموعة لهذا الغرض . ومدى تمثيلها لحقيقة هذا المنهج في ذات نفسها ؛ ومدى ارتباطها بالله صاحب هذا المنهج ، وثقتها به ، وتوكلها عليه .

هذه هي حقيقة هذا الدين وطريقته ؛ وهذه هي خطته الحركية ووسيلته ..

وهذه هي الحقيقة التي شاء الله أن يعلمها للجماعة المسلمة، وهو يربطها بأحداث المعركة ؛ وبالتعقيب على هذه الأحداث ..

حينما قصرت في تمثيل حقيقة هذا الدين في ذات نفسها في بعض مواقف المعركة . وحينما قصرت في اتخاذ الوسائل العملية في بعض مواقفها . وحينما غفلت عن تلك الحقيقة الأولية أو نسيتها ؛ وفهمت أنه من مقتضى كونها مسلمة أن تنتصر حتماً بغض النظر عن تصورها وتصرفها — حينئذ تركها الله تلاقي الهزيمة ؛ وتعاني آلامها المريرة . ثم جاء التعقيب القرآني يردها إلى تلك الحقيقة : «**أو لما أصابتكم**

مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير» ..

ولكنه – كما قلنا فى سياق الاستعراض للنصوص – لا يترك المسلمين عند هذه النقطة ، بل يصلهم بقدر الله من وراء الأسباب والنتائج ؛ ويكشف لهم عن إرادة الخير بهم من وراء الابتلاء ، الذى وقع بأسبابه الظاهرة من تصرفاتهم الواقعة ..

إن ترك المنهج الإلهى يعمل ويتحقق عن طريق الجهد البشرى ، ويتأثر بتصرف البشر إزاءه .. هو خير فى عمومه ، فهو يصلح الحياة البشرية ولا يفسدها أو يعطلها ؛ ويصلح الفطرة البشرية ويوقظها ويردها إلى سوائها .. ذلك أن حقيقة الإيمان لا يتم تمامها فى قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس فى أمر هذا الإيمان . مجاهدتهم باللسان بالتبليغ والبيان ؛ ومجاهدتهم باليد لدفعهم من طريق الهدى حين يعترضونه بالقوة الباغية .. وحتى يتعرض فى هذه المجاهدة للابتلاء والصبر على الجهد ، والصبر على الأذى ، والصبر على الهزيمة ، والصبر على النصر أيضاً – فالصبر على النصر أشق من الصبر على الهزيمة – وحتى يتمحص القلب . ويتميز الصف ، وتستقيم الجماعة على الطريق ، وتمضى فيه راشدة صاعدة ، متوكلة على الله .

حقيقة الإيمان لا يتم تمامها فى قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس

فى أمر هذا الإيمان . لأنه يجاهد نفسه أولا فى أثناء مجاهدته للناس ؛ وتتفتح له فى الإيمان آفاق لم تكن لتتفتح له أبداً . وهو قاعد آمن سالم ؛ وتتبين له حقائق فى الناس . وفى الحياة . لم تكن لتتبين له أبداً بغير هذه الوسيلة ؛ ويبلغ هو بنفسه وبمشاعره وتصوراته . وبعاداته وطباعه ، وبانفعالاته واستجاباته ، ما لم يكن ليبلغه أبداً ؛ بدون هذه التجربة الشاقة المريرة .

وحقيقة الإيمان لا يتم تمامها فى جماعة ، حتى تتعرض للتجربة والامتحان والابتلاء ، وحتى يتعرف كل فرد فيها على حقيقة طاقته وعلى حقيقة غايته ؛ ثم تتعرف هى على حقيقة اللبنات التى تتألف منها . مدى احتمال كل لبنة . ثم مدى تماسك هذه اللبنات فى ساعة الصدام .

وهذا ما أراد الله — سبحانه — أن يعلمه للجماعة المسلمة ، وهو يربيها بالأحداث .

وإذن فهو — فى النهاية — قدر الله وتدبيره وحكمته ، من وراء الأسباب والأحداث والأشخاص والحركات .. وهو التصور الإسلامى الشامل الكامل . يستقر فى النفس من وراء الأحداث ، والتعقيب المنير على هذه الأحداث .

٢ ـ طبيعة النفس البشرية:

٢ ــ وتمخضت المعركة والتعقيب عليها عن حقيقة أساسية كبيرة عن طبيعة النفس البشرية وطبيعة الفطرة الإنسانية . وطبيعة الجهد البشرى . ومدى ما يمكن أن يبلغه فى تحقيق المنهج الإلهى :

إن النفس البشرية ليست كاملة ــ فى واقعها ــ ولكنها فى الوقت ذاته قابلة للنمو والارتقاء ، حتى تبلغ أقصى الكمال المقدر لها فى هذه الأرض .

وها نحن أولاء نرى قطاعاً من قطاعات البشرية ــ كما هو وعلى الطبيعة ــ ممثلا فى الجماعة التى تمثل قمة الأمة التى يقول الله عنها : «**كنتم خير أمة أخرجت للناس**» .. وهم أصحاب محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ المثل الكامل للنفس البشرية على الإطلاق .. فماذا نرى ؟ نرى مجموعة من البشر ، فيهم الضعف وفيهم النقص ، وفيهم من يبلغ أن يقول الله عنهم : «**إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم**» . ومن يبلغ أن يقول الله عنهم : «**حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم**» .

وكل هؤلاء مؤمنون مسلمون ؛ ولكنهم كانوا فى أوائل الطريق كانوا فى دور التربية والتكوين . ولكنهم كانوا جادين فى أخذ هذا الأمر ، مسلمين أمرهم لله ، مرتضين قيادته ، ومستسلمين لمنهجه . ومن ثم لم يطردهم الله من كنفه ، بل رحمهم وعفا عنهم ؛ وأمر نبيه — صلى الله عليه وسلم — أن يعفو عنهم ، ويستغفر لهم ، وأمره أن يشاورهم فى الأمر ، بعد كل ما وقع منهم ، وبعد كل ما وقع من جراء المشورة ! نعم إنه — سبحانه — تركهم يذوقون عاقبة تصرفاتهم تلك ، وابتلاهم ذلك الابتلاء الشاق المرير .. ولكنه لم يطردهم خارج الصف ، ولم يقل لهم : إنكم لا تصلحون لشىء من هذا الأمر ، بعد ما بدا منكم فى التجربة من النقص والضعف .. لقد قبل ضعفهم هذا ونقصهم ، ورباهم بالابتلاء ، ثم رباهم بالتعقيب على الابتلاء ، والتوجيه إلى ما فيه من عبر وعظات . فى رحمة وفى عفو وفى سماحة ؛ كما يربت الكبير على الصغار ؛ وهم يكتوون بالنار ليعرفوا ويدركوا وينضجوا . وكشف لهم ضعفهم ، ومخبآت نفوسهم ، لا ليفضحهم بها ، ويرذلهم ، ويحقرهم ، ولا ليرهقهم ويحملهم مالا يطيقون له حملا . ولكن ليأخذ بأيديهم ، ويوحى إليهم أن يثقوا بأنفسهم ولا يحقروها ولا ييأسوا من الوصول ماداموا موصولين بحبل الله المتين .

ثم وصلوا .. وصلوا فى النهاية ، وغلبت فيهم النماذج التى كانت فى أول المعركة معدودة . وإذا هم فى اليوم التالى للهزيمة والقرح ، يخرجون مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — غير هايبين ولا مترددين ولا وجلين من تخويف الناس لهم حتى استحقوا تنويه الله بهم : **«الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل»** ..

ولما كبروا بعد ذلك شيئاً فشيئاً .. تغيرت معاملتهم ، وحوسبوا كما يحاسب الرجال الكبار . بعد ما كانوا يربتون هنا كما يربت الأطفال ! والذى يراجع غزوة تبوك فى سورة براءة ؛ ومؤاخذة الله ورسوله للنفر القلائل المتخلفين . تلك المؤاخذة العسيرة ، يجد الفرق واضحاً فى المعاملة ؛ ويجد الفرق واضحاً فى مراحل التربية الإلهية العجيبة . كما يجد الفارق بين القوم يوم أحد ، والقوم يوم تبوك .. وهم هم .. ولكن بلغت بهم التربية الإلهية هذا المستوى السامق .. ولكنهم مع هذا ظلوا بشراً . وظل فيهم الضعف ، والنقص والخطأ . ولكن ظل فيهم كذلك الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله

إنها الطبيعة البشرية التى يحافظ عليها هذا المنهج ؛ ولا يبدلها أو يعطلها ، ولا يحملها مالا تطيق . وإن بلغ بها أقصى الكمال المقدر لها فى هذه الأرض .

وهذه الحقيقة ذات قيمة كبيرة فى إعطاء الأمل الدائم للبشرية ، لتحاول وتبلغ ، فى ظل هذا المنهج الفريد فهذه القمة السامقة التى بلغتها تلك الجماعة ، إنما بدأت تنهد إليها من السفح الذى التقطها منه . وهذه الخطى المتعثرة فى الطريق الشاق زاولتها جماعة بشرية متخلفة فى الجاهلية . متخلفة فى كل شيء . على النحو الذى عرضنا نماذج منه فى سياق هذا الدرس .. وكل ذلك يعطى البشرية أملا كبيراً فى إمكان الوصول إلى ذلك المرتقى السامى ، مهما تكن قابعة فى السفح . ولا يعزل هذه الجماعة الصاعدة ، فيجعلها وليدةمعجزة خارقة لا تتكرر . فهى ليست وليدة خارقة عابرة . إنما هى وليدة المنهج الإلهى ، الذى يتحقق بالجهد البشرى ، فى حدود الطاقةالبشرية والطاقة البشرية كما نرى قابلة للكثير !

هذا المنهج يبدأ بكل جماعة من النقطة التى هى فيها ، ومن الواقع الذى هى فيه . ثم يمضى بها صعداً كما بدأ بتلك الجماعة من الجاهلية العربية الساذجة .. من السفح .. ثم انتهى بها فى فترة وجيزة لم تبلغ ربع قرن من الزمان ، إلى ذلك الأوج السامق . . .

شرط واحد لابد أن يتحقق .. أن تسلم الجماعات البشرية قيادها لهذا المنهج . أن تؤمن به . وأن تستسلم له . وأن تتخذه قاعدة حياتها ، وشعار حركتها ، وحادى خطاها فى الطريق الشاق الطويل

٣ — حقيقة الارتباط بين النفس المسلمة والجماعة المسلمة :

٣ — وحقيقة ثالثة تمخضت عنها المعركة والتعقيب عليها .. حقيقة الارتباط الوثيق فى منهج الله بين واقع النفس المسلمةوالجماعة المسلمة ، وبين كل معركة تخوضها مع أعـــدائها فى أى ميدان . الارتباط بين العقيدة والتصور والخلق والسلوك والتنظيم السياسى والاقتصادى والاجتماعى .. وبين النصر أو الهزيمة فى كل معركة .. فكل هذه عوامل أساسية فيما يصيبها من نصر أو هزيمة .

والمنهج الإلهى — مـن ثم — يعمل فى مساحة هائلة فى النفـس الإنسانية وفى الحياة البشرية . مساحة متداخلة الساحات والنقـط والخطوط والخيوط ، متكاملة فى الوقت ذاته وشاملة . والخطـة يصيبها الخلل والفشل حين يختل الترابط والتناسق بين هذه الساحات كلها والنقط والخطوط .. وهذه ميزة ذلك المنهج الكلى الشامل ، الذى يأخذ الحياة جملة ، ولا يأخذها مزقاً وتفاريق . والذىيتناول النفس والحياة من أقطارها جميعاً ، ويلم خيوطها المتشابكة المتباعدة فى قبضته ، فيحركها كلها حركة واحدة متناسقة ، لا تصيبالنفس بالفصام ، ولا تصيب الحياة بالتمزق والانقسام .

ومن نماذج هذا التجميع ، وهذه الارتباطات المتداخلةالكثيرة

حديثة — فى التعقيب القرآنى — عن الخطيئة ، وأثرها فى النصر والهزيمة . فهو يقرر أن الهزيمة كانت موصولة بالشيطان الذى استغل ضعف الذين تولوا بسبب ما كسبوا : «**إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا** » .. كما يقرر أن الذين قاتلوا مع الأنبياء ووفوا — وهم النموذج الذى يطلب إلى المؤمنين الاقتداء به — بدأوا المعركة بالاستغفار من الذنوب :

«وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا — والله يحب الصابرين — وما كان قولهم إلا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . والله يحب المحسنين» .. وفى توجيهاته للجماعة المسلمة يسبق نهيه لها عن الوهن والحزن فى المعركة توجيهها للتطهر والاستغفار : «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين» .

٤ — طبيعة منهج التربية الاسلامى :

وحقيقة رابعة .. عن طبيعة منهج التربية الإسلامى .. فهو يأخذ الجماعة المسلمة بالأحداث ، وما تنشئه فى النفوس من مشاعر

وانفعالات واستجابات ، ثم يأخذهم بالتعقيب على الأحداث .. على النحو الذى يمثله التعقيب القرآنى على غزوة أحد .. وهو فى التعقيب يتلمس كل جانب من جوانب النفس البشرية تأثر بالحادثة ليصحح تأثره . ويرسب فيه الحقيقة التى يريد لها أن تستقر وتستريح وهو لا يدع جانباً من الجوانب . ولا خاطرة من الخواطر ، ولا تصوراً من التصورات ، ولا استجابة من الاستجابات ، حتى يوجه إليها الأنظار . ويسلط عليها الأنوار . ويكشف عن المخبوء منها فى دروب النفس البشرية ومنحنياتها الكثيرة . ويقف النفس تجاهها مكشوفة عارية ؛ وبذلك يمحص الدخائل . وينظفها ويطهرها فى وضح النور ؛ ويصحح المشاعر والتصورات والقيم ؛ ويقو المبادىء التى يريد أن يقوم عليها التصور الإسلامى المتين . وأن تقوم عليها الحياة الإسلامية المستقرة .. مما يلهم وجوب اتخاذ الأحداث التى تقع للجماعة المسلمة فى كل مكان وسيلة للتنوير والتربية على أوسع نطاق ..

٥ — واقعية المنهج الالهى :

وحقيقة خامسة كذلك .. عن واقعية المنهج الإلهى .. فمن وسائل هذا المنهج لإنشاء آثاره فى عالم الواقع ، مزاولته بالفعل

فهو لا يقدم مبادىء نظرية . ولا توجيهات مجردة .. ولكنه يطبق ويزاول نظرياته وتوجيهاته . وأظهر مثل على واقعية المنهج فى الغزوة هو موقفه إزاء مبدأ الشورى ..

لقد كان فى استطاعة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يجنب الجماعة المسلمة تلك التجربة المريرة . التى تعرضت لها — وهى بعد ناشئة ومحاطة بالأعداء من كل جانب ، والعدو رابض فى داخل أسوارها ذاتها — نقول كان فى استطاعة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يجنب الجماعة المسلمة التجربة المريرة التى تعرضت لها . لو أنه قضى برأيه فى خطة المعركة ، مستنداً إلى رؤياه الصادقة ، وفيها ما يشير إلى أن المدينة درع حصينة ؛ ولم يستشر أصحابه ، أو لم يأخذ بالرأى الذى اتجاهت المشورة عن رجحانه فى تقدير الجماعة ! أو لو أنه رجع عن الرأى عندما سنحت له فرصة الرجوع ، وقد خرج من بيته . فرأى أصحاب هذا الرأى نادمين أن يكونوا قد استكرهوه على غير ما يريد !

ولكنه — وهو يقدر النتائج كلها — أنفذ الشورى . وأنفذ ما استقرت عليه ، ذلك كى تجابه الجماعة المسلمة نتائج التبعة الجماعية وتتعلم كيف تحتمل تبعة الرأى ، وتبعة العمل . لأن هذا فى تقديره — صلى الله عليه وسلم — وفى تقدير المنهج الإسلامى الذى ينفذه ، أهم

من اتقاء الخسائر الجسيمة . ومن تجنيب الجماعة تلك التجربة المريرة فتجنيب الجماعة التجربة معناه حرمانها الخبرة ، وحرمانها المعرفة وحرمانها التربية !

ثم يجيء الأمر الإلهي له بالشورى — بعد المعركة كذلك — تثبيتاً للمبدأ في مواجهة نتائجه المريرة . فيكون هذا أقوى وأعمق في إقراره من ناحية ؛ وفي إيضاح قواعد المنهج من ناحية ..

إن الإسلام لا يؤجل مزاولة المبدأ حتى تستعد الأمة لمزاولته ! فهو يعلم أنها لن تستعد أبداً لمزاولته إلا إذا زاولته فعلا ؛ وأن حرمانها من مزاولة مبادىء حياتها الأساسية — كمبدأ الشورى — شر من النتائج المريرة التي تتعرض لها في بدء استعماله ، وأن الأخطاء في مزاولته — مهما بلغت من الجسامة — لا تبرر إلغاءه ، بل لا تبرر وقفه فترة من الوقت ، لإنه إلغاء أو وقف لنموها الذاتي ، ونمو خبرتها بالحياة والتكاليف . بل هو إلغاء لوجودها كأمة إطلاقاً !

وهذا هو الإيحاء المستفاد من قوله تعالى — بعد كل ما كان من نتائج الشورى في المعركة : **«فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر»** .

كما أن المزاولة العملية للمبادىء النظرية تتجلى في تصرف

الرسول — صلى الله عليه وسلم — عندما رفض أن يعود إلى الشورى بعد العزم على الرأى المعين . واعتباره هذا ترددا وأرجحه . وذلك لصيانة مبدأ الشورى ذاته ، من أن يصبح وسيلة للتأرجح الدائم ، والشلل الحركى . فقال قولته التربوية المأثورة : **«ماكان لنبى أن يضع لأمته حتى يحكم الله له»** .. ثم جاء التوجيه الإلهى الأخير : **«فإذا عزمت فتوكل على الله»** .. فتطابق — فى المنهج — التوجيه والتنفيذ ..

٦ — موقف أكرم رجال هذه الأمة على الله :

وهناك حقيقة أخيرة نتعلمها من التعقيب القرآنى على مواقف الجماعة المسلمة التى صاحبت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والتى تمثل أكرم رجال هذه الأمة على الله .. وهى حقيقة نافعة لنا فى طريقنا إلى استئناف حياة إسلامية بعون الله ..

إن منهج الله ثابت . وقيمه وموازينه ثابتة ، والبشر يبعدون أو يقربون من هذا المنهج . ويخطئون ويصيبون فى قواعد التصور وقواعد السلوك . ولكن ليس شىء من أخطائهم محسوبا على المنهج ولا مغيرا لقيمه وموازينه الثابتة .

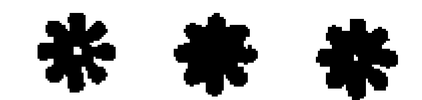
وحين يخطىء البشر فى التصور أو السلوك . فإنه يصفهم بالخطأ

وحين ينحرفون عنه فإنه يصفهم بالانحراف ولا يتغاضى عن خطئهم وانحرافهم — مهما تكن منازلهم وأقدارهم — ولا ينحرف هو لمجارى انحرافهم !

ونتعلم نحن من هذا . أن تبرئة الأشخاص لا تساوى تشويه المنهج ! وأنه من الخير للأمة المسلمة أن تبقى مبادىء منهجها سليمة ناصعة قاطعة ، وأن يوصف المخطئون والمنحرفون عنها بالوصف الذى يستحقونه — أياً كانوا — وألا تبرر أخطاؤهم وانحرافاتهم أبداً بتحريف المنهج ، وتبديل قيمه وموازينه . فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات المسلمة بالخطأ أو الانحراف .. فالمنهج أكبر وأبقى من الأشخاص . والواقع التاريخى للإسلام ليس هو كل فعل وكل وضع صنعه المسلمون فى تاريخهم وإنما هو كل فعل وكل وضع صنعوه موافقاً تمام الموافقة للمنهج ومبادئه وقيمه الثابتة .. وإلا فهو خطأ أو انحراف لا يحسب على الإسلام ، وعلى تاريخ الإسلام ؛ إنما يحسب على أصحابه وحدهم ، ويوصف أصحابه بالوصف الذى يستحقونه : من خطأ أو انحراف أو خروج على الإسلام .. إن تاريخ «الإسلام» ليس هو تاريخ «المسلمين» ولو كانوا مسلمين بالاسم أو باللسان ! إن تاريخ «الإسلام»

هو تاريخ التطبيق الحقيقى للإسلام . فى تصورات الناس وسلوكهم وفى أوضاع حياتهم . ونظام مجتمعاتهم .. فالإسلام محور ثابت . وتدور حوله حياة الناس فى إطار ثابت . فإذا هم خرجوا عن هذا الإطار . أو إذا هم تركوا ذلك المحور بتاتاً ، فما للإسلام وما لهم يومئذ ؟ وما لتصرفاتهم وأعمالهم هذه تحسب على الإسلام . أو يفسر بها الإسلام ؟ بل ما لهم هم يوصفون بأنهم مسلمون إذا خرجوا على منهج الإسلام . وأبوا تطبيقه فى حياتهم . وهم إنما كانوا مسلمين لأنهم يطبقون هذا المنهج فى حياتهم . لا لأن أسماءهم أسماء مسلمين . ولا لأنهم يقولون بأفواههم : إنهم مسلمون ؟!

وهذا ما أراد الله — سبحانه — أن يعلمه للأمة المسلمة ، وهو يكشف أخطاء الجماعة المسلمة ، ويسجل عليها النقص والضعف ، ثم يرحمها بعد ذلك ويعفو عنها . ويعفها من جرائر النقص والضعف فى حسابه . وإن يكن أذاقها جرائر هذا النقص والضعف فى ساحة الابتلاء !



ثالثا : أحد فى ظلال القرآن

١ — فى صميم المعركة :

«ولقد صدقتكم الله وعده ، إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيتم — من بعد ما أراكم ماتحبون : منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة . ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين» .

إن التعبير القرآنى هنا ليرسم مشهداً كاملا لمسرح المعركة ، ولتداول النصر والهزيمة . مشهداً لا يترك حركة فى الميدان ، ولا خاطرة فى النفوس ، ولا سمة فى الوجوه ، ولا خالجة فى الضمائر ، إلا ويثبتها .. وكأن العبارات شريط مصور يمر بالبصر ، ويحمل فى كل حركة صوراً جديدة نابضة . يصحب ذلك كله حركة النفوس ، وما يدور فيها من خوالج وخواطر وانفعالات ومطامع .. ومع هذا الحشد من الصور الحية المتحركة النابضة ، تلك التوجيهات والتقريرات التى يتميز بها أسلوب القرآن ، ومنهج القرآن التربوى العجيب :

وكان ذلك فى مطالع المعركة ، حيث بدأ المسلمون يحسون المشركين ، أى يحصدون حصهم ، أو يستأصلون شأفتهم . قبل أن

يلهيهم الطمع فى الغنيمة . وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد قال لهم : «لكم النصر ما صبرتم» فصدقهم الله وعده على لسان نبيه .

حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون : منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة» ..

وهو تقرير لحال الرماة . وقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة ؛ ووقع النزاع بينهم وبين من يرون الطاعة المطلقة لأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وانتهى الأمر إلى العصيان . بعد ما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذى يحبونه . فكانوا فريقين : فريقاً يريد غنيمة الدنيا ، وفريقاً يريد ثواب الآخرة . وتوزعت القلوب فلم يعد الصف وحدة ، ولم يعد الهدف واحداً . وشابت المطامع جلاء الإخلاص والتجرد الذى لابد منه فى معركة العقيدة . فمعركة العقيدة ليست ككل معركة . إنها معركة فى الميدان ومعركة فى الضمير ولا انتصار فى معركة الميدان دون الانتصار فى معركة الضمير . إنها معركة لله ، فلا ينصر الله فيها إلا من خلصت نفوسهم له .

وماداموا يرفعون راية الله وينتسبون إليها ، فإن الله لا يمنحهم النصر إلا إذا محصهم ومحضهم للراية التى رفعوها ؛ كى لا يكون هناك غش ولا دخل ولا تمويه بالراية . ولقد يغلب المبطلون الذين يرفعون

راية الباطل صريحة فى بعض المعارك — لحكمة يعلمها الله — أما الذين يرفعون راية العقيدة ولا يخلصون لها إخلاص التجرد ، فلا يمنحهم الله النصر أبداً . حتى يبتليهم فيتمحصوا ويتمحضوا .. وهذا ما يريد القرآن أن يجلوه للجماعة المسلمة بهذه الإشارة إلى موقفهم فى المعركة . وهذا ما أراد الله — سبحانه — أن يعلمه للجماعة المسلمة . وهى تتلقى الهزيمة المريرة والقرح الأليم ثمرة هذا الموقف المضطرب المتأرجح !

والقرآن يسلط الأضواء على خفايا القلوب . التى ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها فى قلوبهم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : ما كنت أرى أن أحداً من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يريد الدنيا ، حتى نزل فينا يوم أحد : «**منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة**» .. وبذلك يضع قلوبهم أمامهم مكشوفة بما فيها ؛ ويعرفهم من أين جاءتهم الهزيمة ليتقوها !

وفى الوقت ذاته يكشف لهم عن طرف من حكمة الله وتدبيره وراء هذه الآلام التى تعرضوا لها ؛ ووراء هذه الأحداث التى وقعت بأسبابها الظاهرة .

لقد كان هناك قدر الله وراء أفعال البشر . فلما أن ضعفوا

وتنازعوا وعصوا صرف الله قوتهم وبأسهم وانتباههم عن المشركين وصرف الرماة عن ثغرة الجبل ، وصرف المقاتلين عن الميدان ، فلاذوا بالفرار .. وقع كل هذا مرتباً على ما صدر منهم ؛ ولكن مدبراً من الله ليبتليهم .. ليبتليهم بالشدة والخوف والهزيمة والقتل والقرح ؛ وما يتكشف عنه هذا كله من كشف مكنونات القلوب . ومن تمحيص النفوس ، وتمييز الصفوف .

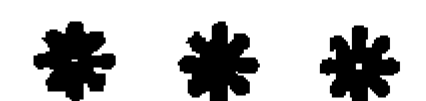
وهكذا تقع الأحداث مرتبة على أسبابها ، وهي في الوقت ذاته مدبرة بحسابها . بلا تعارض بين هذا وذاك فلكل حادث سبب ، ووراء كل سبب تدبير .. من اللطيف الخبير ..

«ولقد عفا عنكم» ..

عفا عما وقع منكم من ضعف ومن نزاع ومن عصيان ؛ وعفا عما وقع منكم من فرار وانقلاب وارتداد .. عفا عنكم فضلا منه ومنة ، وتجاوزاً عن ضعفكم البشرى الذى لم تصاحبه نية سيئة ولا إصرار على الخطيئة .. عفا عنكم لأنكم تخطئون وتضعفون في دائرة الإيمان بالله ، والاستسلام له ، وتسليم قيادكم لمشيئته .

ومن فضله عليهم أن يعفو عنهم ، ما داموا سائرين على منهجه ، مقرين بعبوديتهم له ؛ لا يدعون من خصائص الألوهية شيئاً لأنفسهم

ولا يتلقون نهجهم ولا شريعتهم ولا قيمهم . ولا موازينهم إلا منه فإذا وقعت منهم الخطيئة وقعت عن ضعف وعجز أو عن طيش ودفعة .. فيتلقاهم عفو الله بعد الابتلاء والتمحيص والخلاص ..



٢ — درس من أحد :

«الذين استجابوا لله والرسول من بعد من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم .الذين قال لهم الناس : إن الناس قدجمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم» .

إنهم أولئك الذين دعاهم الرسول — صلى الله عليه وسلم — إلى الخروج معه كرة أخرى غداة المعركة المريرة . وهم مثخنون — وهم ناجون بالجراح . وهم ناجون بشق الأنفس من الموت أمس فى المعركة . وهم لم ينسوا بعد هول الدعكة ، ومرارة الهزيمة ، وشدة الكرب . وقد فقدوا من أعزائهم من فقدوا ، فقل عددهم ، فوق ما هم مثخنون بالجراح !

ولكن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — دعاهم . ودعاهم وحدهم . ولم يأذن لأحد تخلف عن الغزوة أن يخرج معهم — ليقويهم ويكثر عددهم كما كان يمكن أن يقال ! — فاستجابوا .. استجابوا لدعوة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وهى دعوة الله — كما يقرر

السياق وكما هى فى حقيقتها وفى مفهومهم كذلك — فاستجابوا بهذا لله والرسول « **من بعدما أصابهم القرح** » . ونزل بهم الضر، وأثخنتهم الجراح .

لقد دعاهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ودعاهم وحدهم وكانت هذه الدعوة وما تلاها من استجابة تحمل إيحاءات شتى . وتومىء إلى حقائق كبرى . نشير إلى شيء منها :

فلعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — شاء ألا يكون آخر ما تنضم عليه جوانح المسلمين ومشاعرهم . هو شعور الهزيمة ، وآلام البرح والقرح ؛ فاستنهضهم لمتابعة قريش ، وتعقبها ، كى يقر فى أخلادهم أنها تجربة وابتلاء ، وليست نهاية المطاف . وأنهم بعد ذلك أقوياء ، وأن خصومهم المنتصرين ضعفاء ، إنما هى واحدة وتمضى . ولهم الكرة عليهم ، متى نفضوا عنهم الضعف والفشل ، واستجابوا لدعوة الله والرسول .

ولعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — شاء فى الجانب الآخر ألا تمضى قريش ؛ وفى جوانحها ومشاعرها أخيلة النصر ومذاقاته . فمضى خلف قريش بالبقية ممن حضروا المعركة أمس ؛ يشعر قريشاً أنها لم تنل من المسلمين منالا . وأنه بقى لها منهم من يتعقبها ويكر عليها ..

وقد تحققت هذه وتلك كما ذكرت روايات السيرة .

ولعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — شاء أن يشعر المسلمين وأن يشعر الدنيا كلها من ورائهم . بقيام هذه الحقيقة الجديدة التى وجدت فى هذه الأرض .. حقيقة أن هناك عقيدة هى كل شىء فى نفوس أصحابها . ليس لهم من أرب فى الدنيا غيرها . وليس لهم من غاية فى حياتهم سواها . عقيدة يعيشون لها وحدها ، فلا يبقى لهم فى أنفسهم شىء بعدها ، ولا يستبقون هم لأنفسهم بقية فى أنفسهم لا يبذلونها لها ، ولا يقدمونها فداها ..

لقد كان هذا أمراً جديداً فى هذه الأرض فى ذلك الحين . ولم يكن بد أن تشعر الأرض كلها — بعد أن يشعر المؤمنون — بقيام هذا الأمر الجديد ، وبوجود هذه الحقيقة الكبيرة .

ولم يكن أقوى فى التعبير عن ميلاد هذه الحقيقة من خروج هؤلاء الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح . ومن خروجهم بهذه الصورة الناصعة الرائعة الهائلة : صورة التوكل على الله وحده وعدم المبالاة بمقالة الناس وتخويفهم لهم من جمع قريش لهم — كما أبلغهم رسل أبى سفيان — وكما هول المنافقون فى أمر قريش وهو مالابد أن يفعلوا :—

«الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل» ..

هذه الصورة الرائعة الهائلة كانت إعلاناً قوياً عن ميلاد هذه الحقيقة الكبيرة . وكان هذا بعض ما تشير إليه الخطة النبويةالحكيمة

وتحدثنا بعض روايات السيرة عن صور من ذلك القرح ومن تلك الاستجابة :

قال محمد بن إسحاق : حدثنى عبد الله بن خارجة بن زيدبن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلا من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من بنى عبد الأشهل كان قد شهد أحداً قال : شهدنا أحداً مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنا وأخى ، فرجعنا جريحين . فلما أذن مؤذن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالخروج فى طلب العدو ، قلت لأخى — أو قال لى — أتفوتنا غزوة مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟ — والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل . فخرجنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكنت أيسر جراحاً منه ، فكان إذا غلب حملته عقبة .. حتى انتهيا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

وقال محمد بن إسحاق : كان يوم أحد يوم السبت النصف من

شوال . فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال . أذن مؤذن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى الناس بطلب العدو . وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس . فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام . فقال : يا رسول الله إن أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع . وقال : يا بنى إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن . ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على نفسى . فتخلف على إخوتك . فتخلفت عليهن .. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم — فخرج معه ..

وهكذا تتضافر مثل هذه الصور الرفيعة على إعلان ميلاد تلك الحقيقة الكبيرة ، فى تلك النفوس الكبيرة . النفوس التى لا تعرف إلا الله وكيلا ، وترضى به وحده وتكتفى ، وتزداد إيماناً به فى ساعة الشدة ، وتقول فى مواجهة تخويف الناس لهم بالناس :

«حسبنا الله ، ونعم الوكيل» ..

ثم تكون العاقبة كما هو المنتظر من وعد الله للمتوكلين عليه ، المكتفين به ، المتجردين له :

«فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله» .

فأصابوا النجاة — لم يمسسهم سوء — ونالوا رضوان الله .
وعادوا بالنجاة والرضى .

«بنعمة من الله وفضل» ..

فهنا يردهم إلى السبب الأول فى العطاء : نعمة الله وفضله على من يشاء . ومع التنويه بموقفهم الرائع ، فإنه يرد الأمر إلى نعمة الله وفضله . لأن هذا هو الأصل الكبير ، الذى يرجع إليه كل فضل ، وما موقفهم ذاك إلا طرف من هذا الفضل الجزيل !

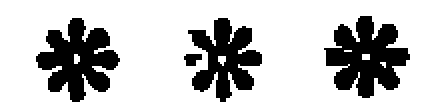
«والله ذو فضل عظيم» ..

بهذا يسجل الله لهم فى كتابه الخالد . وفى كلامه الذى تتجاوب به جوانب الكون كله . صورتهم هذه . وموقفهم هذا . وهى صورة رفيعة . وهو موقف كريم

وينظر الإنسان فى هذه الصورة وفى هذا الموقف ؛ فيحس كأن كيان الجماعة كله قد تبادل ما بين يوم وليلة . نضجت . وتناسقت . واطمأنت إلى الأرض التى تقف عليها . وانجلى الغبش عن تصورها . وأخذت الأمر جداً كله . وخلصت من تلك الأرجحة والقلقلة . التى حدثت بالأمس فقط فى التصورات ، والصفوف . فما كانت سوى ليلة واحدة هى التى تفرق بين موقف

الجماعة اليوم وموقفها بالأمس .. والفارق هائل والمسافة بعيدة .. لقد فعلت التجربة المريرة فعلها فى النفوس ؛ وقد هزتها الحادثة هزاً عنيفاً . أطار الغبش ، وأيقظ القلوب . وثبت الأقدام ، وملأ النفوس بالعزم والتصميم ..

نعم . وكان فضل الله عظيماً فى الابتلاء المرير ..



الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الغزوات
فى ظلال القرآن

صدر من الغزوات حتى الان:

١ — غزوة بدر

٢ — غزوة أحد

٣ — غزوات مع اليهود

٤ — غزوة حنين والأحزاب

٥ — غزوة الفتح

« صلح الحديبية وفتح مكة »

٦ — غزوة تبوك

* * *

رقم الايداع ٤٨٥٨/٨٣

مطابع جريدة السفير ٤ شارع الصحافة ـ

ت : ٨٠٣٩٦٤ ـ الإسكندرية

الغزوات
فى ظلال القرآن



هـذه الغـــزوات

- لقد جاءت هذه الغزوات لتقرر فى أذهان المجاهدين إلى يوم الدين حقائق ضخمة عاشها الأوائل وتحركوا بها وهى حقائق نافعة لنا ونحن فى طريقنا إلى استئناف حياة إسلامية بعون الله .
- كما جاءت هذه الغزوات حية من وراء الأسباب والأحداث والأشخاص والحركات ... بتصور إسلامى شامل كامل ... يستقر فى النفس من وراء الأحداث والتعقيب عليها من الداعية الفذ صاحب الظلال الشهيد سيد قطب ...
- ويسر دار الدعوة أن تهدى هذه الحقائق للعالم الإسلا... بكمال التصور ... وجلال الفهم ... نفع الله بها وأثاب ... الجنة .

دار الدعوة



